

مجمع الأمثال

3700 - لَا غَزْوَ إِلَّا التَّعْقِيبُ .

يُقَالُ : عَقَبَ الرجلُ وهو أن يغزو مرة ثم يثنى من سَنَتِهِ . قَالَ طُفَيْلُ يصف الخيل .

طَوَّالُ الهَوَادِي وَالْمُتَدُونُ صَلَيبَةٌ ... مَغَاوِيرُ فِيهَا لِلأَرِيبِ مُعَقَّبٌ .
وأول من قَالَ ذَلِكَ جُحْرُ بن الحارث بن عمرو آكل المُرَّار وذلك أن الحارث بن
مَنْدَلَةَ ملك الشام - وكان من ملوك سَلِجٍ من ملوك الضَّجَاعِمِ وهو الذي ذكره مالك بن
جُوَيْنٍ الطائي في شعره فَقَالَ : .
هَذَا لِكَ لَا أَعْطَى رَئِيسًا مَقَادَةَ ... وَلَا مَلِكًا حَتَّى يَوْبَ ابْنُ
مَنْدَلَةَ .

وكانَ قدْ أَغَارَ على أرض نجد وهي أرض حجر بن الحارث هذا وذلك على عهد بَهْرَامِ جور
وكان بها أهل جُحْر فوجد القومَ خُلُوفًا ووجد جُحْرًا قد غَزَا أَهْلَ نَجْرَانَ فاستاق
ابنُ مَنْدَلَةَ مَالَ جُحْرٍ وأخذ امرأته هندَ الهنود ووقع بها فأعجبها وكان آكلُ
المُرَّار شيخاً كبيراً وابنُ مندلة شاباً جميلاً فَقَالَتْ له : الذَّجَاءُ النجاء فإن
وَرَاءَكَ طالبا حثيثاً وجمعاً كثيراً ورأياً صليباً وحزماً وكيداً فخرج ابنُ مندلة [ص
246] مُغْدِياً إلى الشام وجعل يقسم المِرْبَاعَ نهاره أجمع فإذا كان الليل أسْرَجَتْ
له السُّرُجُ يقسم عليها فلما رجع جُحْرٌ وجَدَ ماله قد اسْتَدْرَيْقَ ووجد هنداً قد أَخَذَتْ
فَقَالَ : مَنْ أَغَارَ عَلَيْكُمْ ؟ قَالَوا : ابنُ مَنْدَلَةَ قَالَ : مذكم ؟ فَقَالُوا : مذ
ثمانٍ ليالٍ فَقَالَ جُحْرُ : ثمان في ثمان لَا غَزْوَ إِلَّا التَّعْقِيبُ فأرسلها مثلاً يعني
غزوةَ الأَوَّلِ والثاني .

قُلْتُ : قوله " ثمانٍ في ثمانٍ " يعني ثمان لـيالي أدخلت في ثمانٍ أخرى إذ كانت غزوة
نَجْرَانَ كذا فقرنت بمثلها من هذا الغزو الآخر أو أراد ثمانٍ ليالٍ في أثرِ ثمانٍ ليالٍ
يعنى أنه سبقه بثمانٍ ليالٍ حين أغار على قومه وسيلحقه في ثمانٍ ليالٍ .
ثم أقبل مُجِدّاً في طلب ابنِ مَنْدَلَةَ حتى دفع إلى وادٍ دون منزل ابنِ مندلة فكَمَنَ
فيهَ وبعثَ سَدُوسَ بن شيبان بن ذُهل بن ثَعْلَبَةَ وكان من مَنَّاكِرِ العرب فَقَالَ له
جُحْرُ : اذْهَبْ متنكراً إلى القوم حتى تعلم لنا عِلْمَهُمَ فانطلق سدوس حتى انتهى إلى ابنِ
مَنْدَلَةَ وقد نزل في سَفْحِ الجبل وأقد ناراً وأقبل يَقْسِمُ المِرْبَاعَ ونثر تمرًا
وقَالَ : مَنْ جَاءَ بِحِزْمَةِ حطبٍ فذهب سدوسُ فأتى بحِزْمَةِ حطبٍ وألقاها على النارِ

وأخذَ قَبِيضَةً من تمر فألقاها في كِنَانته وجلس مع القوم يستمع إلى ما يقولون وهند
خَلَفَ ابن مندلة تحدّثه فَقَالَ ابن مندلة : يا هند ما ظنك الآن بحُجْرٍ ؟ قَالَت : أراه
ضارباً بجوشنه على واسطة رجله وهو يقول : سِيرُوا سِيرُوا لَا غَزْوَ إِلَّا التّعقيب وذلك
مثل ما قَالَ زوجها سواء ثم قَالَت هند لابن مندلة : وإِ ما نام حُجْر قطْ إِلَّا وعُضُو
منه حي قَالَ ابن مندلة : وما علمك بذلك ؟ وانتهَرها قَالَت : بلى كنت له فارِكاً
فبينما هو ذات يوم في منزل له قد أخرج إليه رابعاً فضربت له قبة من قبابه ثم أمر
بُجُزْرٍ فَنُحِرَتْ وبِشاءٍ فذبحت فصنع ذلك ثم أرسل للناس فدعاهم فأطعمهم فلما طعموا
وخرجوا نام كما هو مكانه وأنا جالسةٌ عند بابِ القُبّة فأَقْبَلَت حَيَّةٌ وهو نائم باسطاً
رِجلَه فذهبت الحية لتنهشه فقبض رجله ثم تحولت من قبل يده لتنهشه فقبض يده إليه ثم
تحولت من قبل رأسه فلما دنت منه وهو يغطُّ قعدَ جالساً فنظر إلى الحية فَقَالَ : ما
هذه يا هند ؟ فقلت : ما فَطِنْتُ لها حتى جلستُ قَالَ : لَا وإِ ذلك كله بمَسْمَعِ سدوس
فلما سمع الحديث رجع إلى حُجْرٍ فنثر التمر من الكِنانة بين يديه وَقَالَ :
أَتَاكَ المُرُجِفُونَ بِأَمْرٍ غَيْبٍ ... عَلَي دَهْشٍ وَجِئْتُكَ بِالْيَقِينِ [ص
.] 247

فلما حَدَّثَته بحديثِ امرأته مع ابن مَندلة عرف أنه قد صَدَقَهُ فُضِرَ بيده على
المُرَار .
- وهى شجرة مرة إذا أكلت منها الإبل قَلَصَتْ مَشَا فِرُّها - فأكل منها من الغَضَب فلم
يضره فسمته العرب " أَكَلَ المُرَار " ثم خرج حتى أغار على ابن مَندلة فنذر به ابن
مَندلة فوثب على فرسه ووقف فَقَالَ له أَكَل المُرَار : هل لك في المبارزة ؟ فَأَيُّنَا
قَتَلَ صاحبه انقاد له جندب المقتول قَالَ له ابن مندلة : أَنُصَفَتَ وذلك بعين هند
فاختلفا بينهما بطعنتين قطعنه أَكَل المُرَار طعنةَ جَندَله بها عن فرسه فوثبت هند إلى
ابن مندلة تفديه وانتزعت الرمح من نَحْرِهِ وخرجت نفسها فظفر أَكَل المُرَار بجنده واستنقَذَ
جميعَ ما كَانَ ذهبَ به من ماله ومال أهل بلادِه وأخذ هنداً فقتلها مكانه وأنشأ يقول :
.

لِمَنِ النارُ أوقِدَتْ بحَفِيرٍ ... لِمَ يَنَامُ غَيْرُ مُصْطَلٍ مَقْرُورٍ .
إِنَّ مَنْ يَأْمَنُ الذِّسَاءَ بشيء ... بَعْدَ هِنْدٍ لِحَاجَاهِلٍ مَعْرُورٍ .
كلُّ أُنْثَى وَإِنْ تَبَيَّسَتْ مِنْهَا ... آيَةُ الحَبِّ حُبُّهَا خَيْتَعُورُ